المؤثرات الاولى التي محسوسة فركوع الام للصلاة امام طفلها يؤثر في نفسه تأثيراً قوياً اذ يشعر انها تخاطب قوة علويه عظيمة . كما ان لهجتها في الكلام عند ذكر الاشياء المقدسة تولد في نفسه بطريقة غير محسوسة احتراماً لتلك الاشياء قبل ان يدرك معناها . فكما ان الهواء الذي حوله يؤثر في صحته كذلك الحياة التي حوله تؤثر في نفسه . فلتتعلم الاولاد منذ الصغر من شفتي أم تقية سر الوجود ونواميس الحياة قبل ان تعمى أكاذيب الشيطان أبصارهم ويدنس فساد العالم قلوبهم فيخرجوا الى العالم مسلحين بترس الحق وقابضين على سلاح التقوى

املى عبد المسيح

الموسيقى والغناء

الموسيقى والغناء فن قصد به التأثير في الروح بتنسيق الصوت وجعله على نمط ترتاح له النفس ويهتز له القلب . وهو القوة التي تساعد النطق في التأثير في السامع . وكان من اللازم لطالب الفلسفة عند القدماء من الاحاطة بفن الموسيقى . وقد أطلقوا عليه لفظ « أرمونيا » ومعناها التنظيم والتنسيق وقد نعت العالمان الحكيمان « فيتاغورس » و « هرمز » فن الموسيقى بأنه العلم المنظم لكل شيء .

وقد أجمع العلماء على ألاَّ شيء في العالم يعادل تأثير الموسيقى والغناء في تهيئة النفوس . وتوطئة القلب للتحلي بالفضائل والكمالات ومع لا يؤثران فيه لا بد أن يكون به نقص في الخلقة وضعف في الشعور والاحساس

والانسان بطبيعته مجبول على التأثر بالغناء والموسيقى منذ ولادته فالطفل الذي لا يزيد عمره على اسبوع يهدأ ساكناً ويراح عنه بتطريبه

وقد أقر الطب القديم وعززه الطب الحديث ان الموسيقى والغناء دواء نافع لكثير من الامراض وخصوصاً العصبي منها . وقد جرب أطباء فرنسا مقدار تأثير الغناء في وظائف الاعضاء وقد راذلك بآلة حاسية فوجدوا انه يزيد في حركة التنفس ودورة الدم لدرجة مقبولة

وفن الموسيقى والغناء من الفنون الجميلة . فكما ان كل حاسة تلتذ بشيء مخصوص فلذة السمع أيضاً في جمال الصوت وحسن توقيعه وذلك هو الغناء والموسيقى

وكل أمة مهما بلغت درجتها تستعمل الموسيقى في الجيش كآلة من آلات الحرب . وهي تشجع على اقتحام ساحة الوغى . ومقابلة المنون بصدر منشرح . وثغر باسم . وتولد الحماسة في النفس

وطرب الموسيقى والغناء أمر طبعي في النفوس . فمن الحيوانات العجم والوحوش الضارية ما تسمع صوت أحدهما فتحن اليه . ويسكن من حدتها . ويضعف من قسوتها . وربما ذلت به رقابها . وأمكن بكل سهولة قيادها . فالابل وهي من أغلظ الحيوانات أكبادا . اذا أنهكها التعب . وأهلكها الجوع والظمأ وغنى لها الحادي طربت ونسيت في الحال ما بها . وتعللت بالغناء عن الاكل والماء . وانبعث فيها روح الجد والنشاط فواصلت السير دون أن تشعر بتعب أو جوع أو ظمأ

والفيلة وهي من أعظم الحيوانات جسما وأشدها بطشاً اذا سمعت صوتاً مرنماً تمايل جسمها العظيم مترنحاً واهتز طرباً . ومما يحكى قديماً ان

أحد فلاسفة الموسيقيين أراد ان يعبر بحراً فلم يجد ما يحمله للشاطيء الثاني فجلس يلهي نفسه بالغناء واذا بحيوان بحري عظيم أخذ يشق عباب البحر دانياً من صاحب الصوت حتى حاذى الشاطيء فوقف ساكناً يستمع. فأيقن الفيلسوف انه ملك قياده بتأثير الغناء وذلله بقوة الطرب. فامتطاه يسخره كيف شاء فوق عباب الماء.

فاذا كان هذا مقدار تأثير الموسيقى والغناء في الحيوانات مع ضعف ادراكها وقلة احساسها. فلا شك ان تأثيره يكون عظيماً في الانسان وهو أرقى المخلوقات واسماها وأشدها احساساً وأعظمها ادراكاً

روى عن الحكيم أبي نصر الفارابي انه دخل على سيف الدولة بن حمدان في مجلس أنس له ولم يكن لسيف الدولة سابق معرفة به. فاستاء كثيراً من دخوله ولكنه كظم غيظه. وملك عنان نفسه. ولما أخذ المطربون يغنون على آلات الطرب لم يستحسن الفارابي شيئاً منها وجاهر بشعوره فتألم ابن حمدان لثقته العظيمة في مطربيه وبراعتهم في الفن وقال له هذا كل ما عندنا فأتنا بما عندك. فأخرج الفارابي من كيس معه مقداراً من الأبوص وركبه وضرب عليه فلم يبق احد من الحاضرين الا وضحك حتى استلقى على قفاه. ثم غير التركيب وضرب مرة ثانية فبكى كل من بالمجلس ثم أبدله مرة ثالثة ونقر عليه فنام الجميع فتركهم وسار الى سبيله والوقائع التاريخية التي تشهد بقوة تأثير الموسيقى كثيرة منها أن أهل مدينة كانوا في فتنة عظم شرها وقامت لها المدينة على ساق وقدم. فذهب جماعة من الموسيقيين الى مكان الزعماء القائمين بأمر الثورة فما زالوا يغنونهم حتى طربوا فصفت أرواحهم ورقت نفوسهم. ولانت عريكتهم فانتهوا من

أنفسهم عن اشعال نار الثورة وهدأ الحال كأن لم يكن شيء

وحرفة الموسيقي والغناء بمصر لم تقدر قدرها . ولذا ندر أن يمارسها واحد من الطبقة العاليه . وليس المقصود منها هنا سوى الكسب حتى صارت هذه المهنة ذات المكان الاسمي كالنجارة والحدادة ولذلك لاعجب ولا استغراب اذا كانت حالة موسيقيينا ومغنيينا كما هي الا ن من الفوضى وعدم الترتيب والنظام . ويتجلى ذلك بأوضح صورة في جوقة السيدات اللائي يمارسن هذه الصنعة في الافراح « الموالم » فأن كل أغنيتهن خالية من المعنى السامي . والروح العالية محرومة من قليل من التأثير في النفس لقبح الاصوات وبذيء الالفاظ .

وعلى كل فلا لوم ولا تثريب على من يمارسون هذه الصناعة بمصر فقد نشأوا في أمة يعتقد السواد الاعظم فيها أن حرفة الغناء من الصناعات المنحطة وأن في ممارستها نقصاً . فصغرت لذلك نفوس المغنين . وهانت عليهم صناعتهم ورغب عنها الادباء والراقيون . وقد ذهل من يمارس هذه الصنعة عن جمالها وجلالها وغفلوا عن لذة الفن وأدبه وصاروا يؤدونه كما يتفق لا كما يجب

وازاء نهضتنا الحالية نأمل أن تنال الفنون الجميلة حظها الاوفر ومكانها الاسمي فهي المسبار الذي يقاس به رقي الامم وتقدمها وهي وحدها العامل الاقوى في تهذيب النفس وترويحها . وجدير بكل سيده أن يكون لها ألمام بآلة من آلات الطرب حتى تروح عن نفسها وتزيل ألم وتعب زوجها وتبعث الروح العالية والاخلاق الكريمة في نفوس أولادها . وحتى يكون منزلها جنة الفردوس بأتم معانيها

منيره محمود صبري